منع التطرّف العنيف والتصدّي له من خلال تعزيز مرونة المجتمعات المحلية

ملخّص سياسة عامّة للبنان

870769. يحظى مشروع PAVE بتمويل من برنامج الاتحاد الأوروبي "هورايزن 2020" لتمويل البحث والابتكار بموجب اتفاق المنحة رقم

مقدّمة إلى مشروع PAVE

يعمل مشروع PAVE البحثي (2020-2023) على جمع المعارف المبنيّة على الأدلّة حول الاتجاهات السائدة في الراديكالية والتطرّف العنيف في بلدان منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا ومنطقة غرب البلقان. ويهدف المشروع إلى تعزيز قدرات صنّاع السياسات والقادة المجتمعيّين من أجل وضع استراتيجية وقائيّة فعّالة بين الاتّحاد الأوروبي والبلدان المجاورة له. وبالإضافة إلى تقارير البحث وملخّصات السياسات العامّة، سيُصار إلى تطوير آليّات تدريبية مبتكرة لدعم الجهات المعنيّة بناءً على النتائج التي يتوصّل إليها المشروع.

يضمّ ائتلاف المشروع 13 منظّمة شريكة موزّعة على 12 بلدًا، وينصبّ تركيزه الأساسي على الأبحاث التي تقودها جهات محلية ذات معرفة وثيقة بالسياق وبإمكانها الوصول إلى أصحاب المصلحة في المناطق قيد الدراسة. ويجمع المشروع شركاء يتميّزون بنقاط قوّة فريدة وتكميليّة ويتشاطرون مجالات الاهتمام نفسها من أجل دعم التعلّم والتنمية المشتركَين. وفي البلدان كلّها، تمّت استشارة القادة المجتمعيّين، مثل ممثّلي الدولة المحليّين والقادة الدينيّين والتربويّين والمنظّمات الشبابية والنسائية، للتحقّق من صحة خطط البحث أوّلًا، وما يتوصل إليه من نتائج لاحقًا.

جُمِعَت البيانات التجريبية في سبعة بلدان قيد الدراسة عن طريق مجموعة متنوّعة من النُهُج النوعيّة والكمّيّة والمختلطة ومن ثمّ أُخضعت للمقارنة على مستوى المجتمعات المحلية المُختارة (البلديات مثلًا) التي تتأثّر بالتطرّف العنيف بدرجات متفاوتة. وقد حُدِّدَت عوامل الهشاشة والمرونة على المستوى الوسيط "الميزو" لديناميات المجتمع المحلي والجهات الفاعلة فيه، وذلك بناءً على ثلاثة محاور موضوعية هي: العلاقة المتبادلة بين التطرّف الديني والسياسي والعرقي/الطائفي؛ والتفاعل بين المؤسسات الدينية ومؤسسات الدولة؛ والتفاعل بين سرديات (القضاء على) التطرّف في الفضاء الإلكتروني وخارجه.

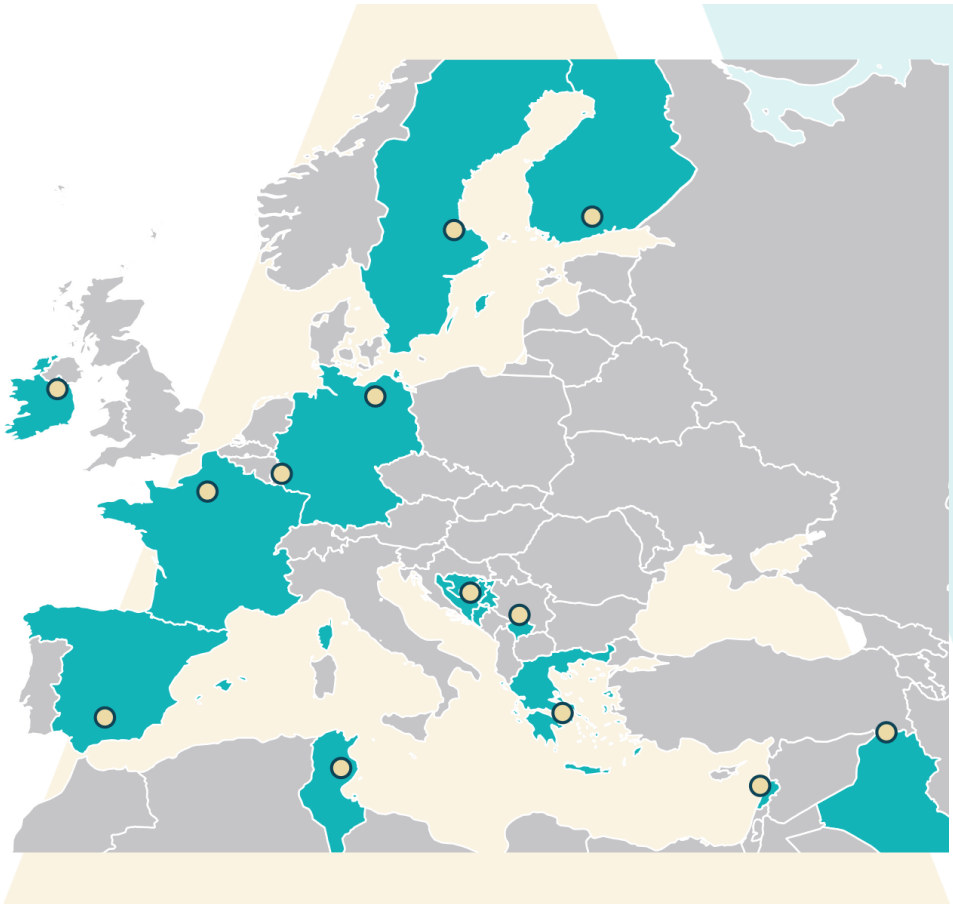

مقدّمة إلى أبحاث مشروع PAVE في لبنان

درست ثلاثة فِرق بحثية تابعة للمشروع عوامل الهشاشة والمرونة إزاء التطرّف العنيف في ثلاثة مجتمعات محلية مختلفة في لبنان، معتمدةً نهجًا شموليًّا ومتكاملًا بهدف تعزيز قاعدة الأدلة الخاصة بالتطرّف العنيف وتطوير تدابير وقائية وتوصيات سياساتية فعّالة.

تقود مؤسسة بيت العلوم الإنسانية (Fondation Maison des Sciences de l'Homme) في باريس محور التفاعل بين مؤسسات الدولة والمؤسسات الدينية/القادة الدينيّين. وأجرى فريق البحث التابع للمؤسسة مقابلات مع قادة دينيّين وسياسيين وقادة من المجتمع المدني مُنتمين إلى طائفتين في لبنان: السُنّة في صيدا والموارنة. وطرح الفريق على المجتمع السنّي في صيدا قضية التطرّف الديني من منظور المناطقية مسلّطًا الضوء على دور المؤسسات والجهات الفاعلة وأصحاب المصلحة الرسميين وغير الرسميين على المستوى المحلّي بصفتهم عامل هشاشة أمام التطرّف العنيف، وكذلك دورهم بصفتهم عامل مرونة في وجه هذا التطرّف، إضافة إلى الطريقة التي نسّقوا من خلالها جهودهم لمكافحة التطرّف العنيف. وفي المجتمع الماروني، طرح فريق مؤسسة بيت العلوم الإنسانية قضية التطرّف العنيف من منظور الخطاب السائد، فقد ركّز الفريق عمله على خطاب البطريركية المارونية والكوادر السياسية المنتمية للتيار الوطني الحر وخصومه السياسيين المباشرين، أي حزب القوات اللبنانية، وكذلك التفاعل بين هذه الأحزاب المارونية والبطريركية.

ركّز فريق البحث الثاني من معهد عصام فارس للسياسات العامة والشؤون الدولية في الجامعة الأمريكية في بيروت عمله الميداني على بلدة مجدل عنجر التي شهدت أحداثًا أمنية متفرقة ارتبطت بجماعات سلفية-وهابية بين عامَي 1990 و2014. وعايَن فريق الجامعة الأمريكية دور القادة الدينيّين والسياسيين الشيعة في تغذية التطرّف العنيف والخطاب الإعلامي في لبنان. يتناول تقرير الفريق التفاعل في ما بين المؤسسات الدينية الرسمية وغير الرسمية من جهة، والتفاعل مع مؤسسات الدولة من جهة الأخرى، على المستويَين الوطني (دراسة حالة المجتمع السنّي)، والمحلي (دراسة حالة بلدة مجدل عنجر) ضمن سياق حسّاس يقوم على نظام تقاسم السلطة. تهدف الدراسة إلى تحديد دور هذه التفاعلات في إثارة التطرّف العنيف وتمكينه في لبنان، أو في تحصين المجتمع المحلي ضدّ وقوعه، فضلًا عن الدور الذي يضطلع به أصحاب المصلحة والجهات الفاعلة على اختلافهم في العملية.

عمل الفريق الثالث من مؤسسة بيرغوف (Berghof) على دراسة عوامل الهشاشة والمرونة إزاء التطرّف العنيف الذي يغذّي التطرّف في الفضاء الإلكتروني وخارجه. ولهذه الغاية، أجرى الفريق دراسة ميدانية في بلدتَين في منطقة البقاع: الأولى مجدل عنجر التي شهدت موجة تطرّف عنيف دامت أكثر من عقدين من الزمن، والثانية خربة روحه، وهي بلدة مجاورة لمجدل عنجر وتجمعهما قواسم مشتركة متعددة لناحية الأوضاع الاجتماعية-الاقتصادية والتركيبة الطائفية والموقع الجغرافي، غير أنّ خربة روحه لم تسجّل أي حراك تطرّفي عنيف. باعتماد نهج مقارن وبالاستناد إلى 60 مقابلة ميدانية وحلقتَي نقاش مركّز في كلا البلدتَين، أظهرت الدراسة أنّه، وفي خلال الفترة الزمنية الممتدة بين 2010 و2020، كمّل التطرّف على الإنترنت أدوات التطرّف التقليدية (خارج الإنترنت)، وحلّ محلّها بشكل كامل لاحقًا. في هذا الصدد، استبدلت قنوات "تلغرام" (التي احتوت على غرف دردشة مع جماعات متطرّفة وكتبًا ومواد أخرى ذات علاقة بالتطرّف) ومقاطع الفيديو على "فيسبوك" و"يوتيوب" التلفاز والاجتماعات الحضورية. كما أشارت نتائج الدراسة إلى أهمية مراعاة الطابع المتعدّد المستويات والمعقّد والمركّب لعوامل الهشاشة والمرونة. ففي حالة مجدل عنجر، شملت عوامل الهشاشة الرئيسة للمجتمع المحلي موقع البلدة على الحدود اللبنانية-السورية، إلى جانب الأيديولوجيا المهيمنة في ذلك الوقت والمشهد السياسي والطائفي المضطرب الذي تخللته نزاعات ارتكزت على التبرير الديني لحشد الرأي العام. أمّا في خربة روحه، فشكّل معدل القرائية المرتفع والقيادة الحكيمة عاملَي مرونة رئيسيين في وجه التطرّف العنيف.

1 توصيات للحكومة

- إعداد منهاج موحّد وجامِع للتعليم الديني واعتماده في المدارس الخاصة والرسمية.
- توحيد منهاج مادة التاريخ وتعليمها في إطار جامع يحترم سرديات المكوّنات اللبنانية على اختلافها.
- تعزيز دور وزارة التربية والتعليم العالي في مكافحة جنوح الأحداث وإنشاء برامج لإعادة إدماجهم.
- إرساء فصل واضح بين الأدوار الدينية والسياسية للمؤسسات الدينية لإعادة بناء الثقة بين هذه المؤسسات والمجتمعات المحلية، وبالتالي تمكين المؤسسات الدينية من تأدية دور فاعل في منع التطرّف العنيف.
- النهوض بالمؤسسات الأمنية ومبدأ سيادة القانون والالتزام بحقوق الإنسان.

- اعتماد نُهُج أمنية وقائية إزاء التطرّف العنيف والإرهاب بدلًا من التدابير الأمنية القاسية.
- اعتماد نهج متعدّد المستويات للتعامل مع التطرّف يميّز بين العنيف منه وغير العنيف لتمكين تنفيذ تدخّلات موجّهة.
- بناء الجسور بين المؤسسات الأمنية والمجتمعات المحلية بهدف تطوير نُهُج وقائية مجتمعية من الأسفل إلى الأعلى للقضاء على التطرّف.
- إقامة حوار جامِع بين مختلف شرائح المجتمع المحلي يشمل أفرادًا من خلفيات دينية أخرى (يُنظر إليها غالبًا على أنّها متطرّفة أو راديكالية)
- إنشاء إطار قانوني للاعتراف بضحايا التطرّف العنيف والتعويض لهم كوسيلة لإعادة بناء اللُحمة الاجتماعية.
- العمل على إلغاء الطائفية في النظام الطائفي اللبناني سبيلًا لبناء هوية وطنية مشتركة، وتعزيز سلطة الدولة، وإضعاف النظام الزبائني، والحد من استغلال الدين لمآرب سياسية.
- اعتماد خطط إنمائية شاملة لتحسين الأوضاع المعيشية وتوفير فرص العمل لتكون عوامل مرونة أساسية في وجه التطرّف العنيف.
- ضمان استقلالية القضاء وإصلاح الممارسات القضائية، ولا سيّما في ما يخصّ إحالة قضايا التطرّف إلى المحاكم المدنية/الجنائية المختصة بدلًا من المحاكم العسكرية.
- اعتماد إصلاحات في السجون من شأنها تعزيز ممارسات إعادة التأهيل عوضًا عن التدابير العقابية البحتة، وتوفير خدمات إعادة إدماج اجتماعية ونفسية ودينية لمنع العودة إلى الإجرام.
- إعداد برنامج تعويضات للمعتقلين الذين سُجِنوا لفترات طويلة من الزمن وثبتت براءتهم لاحقًا.
- تجريم الجرائم الطائفية.
- تعزيز دور البلديات وحضورها في المجتمعات المحلية.
- تعزيز دور المؤسسات الدينية الرسمية ونطاق تأثيرها، فغيابها يخلّف فراغًا في القيادة الدينية يستغله غالبًا أصحاب الأجندات المتطرّفة الذين يعملون على نشر السرديات المتطرّفة.
- تعزيز الرقابة والإشراف على قنوات الأقمار الصناعية المتلفزة التي تعمل في بلدان غربية وتنشر الخطاب الطائفي المتطرّف، بما في ذلك كراهية الإسلام.

2 توصيات للمجتمع الدولي

- دعم مبادرات الحوار الإقليمية المتمحورة حول الأمن.
- الكفّ عن استغلال الديناميات السياسية الداخلية في بلدان الشرق الأوسط وشمال أفريقيا كساحات للحروب بالوكالة.
- إنشاء قنوات تنسيق مع السلطات الغربية لمكافحة منصات التطرّف عبر الإنترنت، مع الاعتراف بأنّ مفعول هذه الخطوة ضئيل نظرًا للتحالفات القائمة بين بعض السلطات الغربية والأنظمة العربية.
- إجراء دراسات إضافية حول تدفّق سرديات التطرّف العنيف والمقاتلين المتطرّفين من الاتحاد الأوروبي إلى منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا.
- دعم إحقاق العدالة والبناء السليم للدولة في الدول العربية والامتناع عن دعم الأنظمة الفاسدة والديكتاتورية.
- دعم تطبيق اتفاق الطائف الذي يتضمن إلغاء الطائفية السياسية كبندٍ رئيس.

- دعم المبادرات الشعبية للمجتمع المدني (بما في ذلك على سبيل المثال لا الحصر منع التطرّف العنيف) وتوفير البرامج التدريبية وفرص العمل للشباب والنساء والفئات المهمّشة في المجتمع، وذلك بهدف إيجاد مساحة لإعداد نخب بديلة غير طائفية.
- الإقرار بدور المؤسسات الدينية بوصفها جهات فاعلة رئيسة في مبادرات منع التطرّف العنيف.

3 توصيات للمجتمع المدني

- تعزيز المشاركة المجتمعية في الحياة الاجتماعية والثقافية والدينية لتكون عامل مرونة مهمًّا.
- إشراك المؤسسات والمبادرات والقادة الدينيّين الذين يطرحون سرديات دينية وروحية بديلة.
- تعزيز مشاركة المرأة في الهيئات الإدارية والمدارس ومنظّمات المجتمع المدني، بما في ذلك مبادرات منع التطرّف العنيف.
- إنشاء قنوات آمنة للحوار المجتمعي يستطيع من خلالها الأفراد من مختلف الخلفيات المذهبية التلاقي ومناقشة الأفكار الدينية والمذهبية الخاطئة وإيجاد أرضية مشتركة للعمل السياسي المشترك.
- إشراك المثقّفين الدينيّين (وشبكاتهم) والاستثمار فيهم في البقاع وغيره من المناطق التي غالبًا ما يتعرض فيها أصحاب الآراء الدينية التقدّميّة للتهميش بسبب الضغط المجتمعي أو المخاوف المتعلقة بالسلامة الشخصية.

المراجع

البعلبكي، ردينة؛ عياد، فايزة؛ بوجوان، جولين؛ بن جنات، زهير؛ دمك، صدوق؛ النيفر، أحميدة؛ جارسيا كول، جوزيب؛ حمدي، سميحة؛ قرطام، ماري؛ لعجير، حسن؛ رشيد، أمجد؛ رقيق، فتحي؛ رويبيريز كاناليس، جافيير؛ الشرقاوي، محمد؛ والزغلامي، ماهر (2022). التفاعل بين مؤسسات الدولة والمؤسسات الدينية في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. ورقة العمل 4. منشورات مشروع PAVE. https://pave-project.eu/publications/PAVE_870769_D4.2_publication_layout.pdf

عزام، لارا؛ السماق، ماريا؛ وسلوم، يوسف (2022). عوامل الهشاشة والمرونة إزاء التطرّف العنيف في لبنان: بلدتًا مجدل عنجر وخربة روحه نموذجًا. التقرير القُطري. منشورات مشروع PAVE. *لم يُنشر بعد*.

حنفي، ساري (2021). "شعبوية ماكرون والإسلام". *أوبن ديموكراسي*. https://www.opendemocracy.net/en/openmovements/macrons-populism-and-islam/

قرطام، ماري (2022). التفاعل بين مؤسسات الدولة والمؤسسات الدينية في منطقتَي البلقان والشرق الأوسط وشمال أفريقيا. تقرير توليفي. منشورات مشروع PAVE. https://pave-project.eu/publications/PAVE_870769_D4.3_publication_layout.pdf

قرطام، ماري (2020). دراسة خط الأساس: التفاعل بين مؤسسات الدولة والمؤسسات الدينية. مشروع PAVE.

قرطام، ماري (2016). *شرعية الجيش اللبناني في دولة ومجتمع الطوائف*. بوابة المعرفة للمجتمع المدني، مركز "دعم لبنان". https://civilsociety-centre.org/content/الجيش-والمجتمع-شرعية-الجيش-اللبناني-في-دولة-ومجتمع-الطوائف

قرطام، ماري (2020). "الأوجه المتعددة للتطرّف العنيف في الأزمات السورية"، في العربي صدّيقي (المحرر)، *دليل روتليدج للسياسة في الشرق الأوسط*، روتليدج

قرطام، ماري (2018). "لبنان"، في فابري، فرانشسكا وبول، أماندا (المحرّران)، *مكافحة الإرهاب والتطرّف في جوار أوروبا: كيفية التوسع بجهود الاتحاد الأوروبي*، مركز السياسات الأوروبي، مؤسسة فريدريش ايبرت، 27-38.

قرطام، ماري (2017). "إضفاء النوع الاجتماعي على (انعدام) الأمن: الجيش والحواجز والحدود في منطقة طرابلس الحضرية"، في نودسن، أي.جي وجادي، ت. (المحررون)، *العلاقات المدنية-العسكرية في لبنان: نزاع وتماسك وطائفية في مجتمع منقسم*، بالجريف ماكميلان، 101-120.

قرطام، ماري (2016). القادة الروحيون المسلمون في لبنان. *مجلة علماء الأنثروبولوجيا*، 133-149.